المباني الفكرية للإرهاب الفكري وأثرها على السلم المجتمعي - دراسة انثربولوجية

أ.د. خليل إبراهيم حسب الموسوي
جامعة ميسان / كلية التربية/ قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية
ibrahimalshawki@gmail.com)

المستخلص:

يروم الباحث في هذه الدراسة كشف المباني الفكرية والعقدّية للحركات الارهابية وما تحمله من أيدلوجيات فكرية مغايرة للطبيعة والفطرة الانسانية، التي اعتمدتهما الشريعة الإسلامية في تشريعاتها وتعاليمها العقدية، وتوصل إلى أنَّ الارهاب الفكري، ظاهرة سياسيّة تنحى منحىً راديكالياً متطرفاً، وأنَّ هذه المتبنيات الفكرية مؤدلجة بعقائد دينية؛ غايتها جذب الدعاة إلى افكارها وعقدَّها السلفية التي تنطوي على اغراض سياسية تهدف إلى اسقاط بعض الانظمة الحكومية كما حصل في سوريا أخيراً، وأن غايتها القصوى هو محاربة الفكر الاسلامي الاصيل للمذهب الشيعي الذي اجتاح الساحة الفكرية وتوسع حتّى شمل اوساط المجتمعات الاسلامية والاوربية، والقارة الامريكية والافريقية.

وما توصلنا إليه واستنتجناه رهين المصطلح المعرفي (الأنثروبولوجي) الذي استطعنا من خلاله تحديد موقعية الارهاب الفكري من التراث الإسلامي، وجذوره التاريخية، ومدى درجات القرب من الاسلام، باعتبار أن دراسة التراث الإسلامي، تجربة بشرية ناجحة خاضها الإنسان وهي قابلة للتغيير بحسب المساحة المرنة في التراث الإسلامي، وهذا يجعله قادراً على مواكبة حركة التاريخ ومؤثراً في تطوير المناهج الفكرية والعقدّية وفك عقد التراث الفكري لبعض الحركات المذهبية التي تلفعت برداء الاسلام ولبست المسوح من الثياب فغشي فكرهم من غشيَّ من البسطاء وضعفاء العقول، فانهالوا عليهم بفيض من الروايات الموضوعة كما سيتضح من خلال دراستها دراسة انثربولوجية، وذلك لأهمية بيان تلك الأساليب المناهضة العقيدة الإسلامية للإرهاب الفكري لهذه الجماعات التكفيرية المتطرفة.

الكلمات المفتاحية: المباني الفكرية، الفكر، الإرهاب، الإرهاب الفكري، الأنثروبولوجيا

Abstract

This study aims to critically examine the intellectual and doctrinal underpinnings of terrorist movements, exposing the ideological frameworks they propagate—frameworks that starkly contradict the innate human nature (fiṭrah) and moral disposition upon

which the Islamic Sharia is founded in both its legislative and theological dimensions. The researcher concludes that ideological terrorism is, in essence, a politically-driven phenomenon rather than a product of authentic religious thought or established doctrinal tradition. It does not stem from the genuine tenets of any Islamic school but instead adopts a radicalized, extremist trajectory.

These ideological constructions are deliberately couched in religious rhetoric and dogma to lure preachers and followers into a Salafi framework, one that veils political ambitions beneath the guise of religious reform. The ultimate goal of such movements is the destabilization and overthrow of certain regimes—as exemplified by the recent events in Syria—and the confrontation of the authentic Islamic intellectual tradition, particularly that of the Shi'i school, which has gained significant traction across Islamic societies and extended its reach into European, American, and African communities.

The findings of this research are framed within an anthropological epistemological paradigm, which has enabled a precise analysis of the position of ideological terrorism within the broader context of Islamic heritage. It examines its historical roots, its degree of divergence from Islamic orthodoxy, and its exploitation of religious symbols to legitimize political agendas. Islamic heritage, as a product of a successful and dynamic human experience, is inherently adaptable and capable of evolving in response to historical developments. This capacity allows it to serve as a powerful tool for the refinement of theological and intellectual methodologies and the deconstruction of sectarian narratives that falsely claim Islamic legitimacy.

Keywords: intellectual foundations, thought, terrorism, intellectual terrorism, anthropology

المقدمة:

تتميز هذه الدراسة عن سابقتها من الدراسات التي كثفت جهودها في السرد التاريخي لجذور الارهاب، واظهار أحكامه من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، بقدر ما هو كشف معرفي لبعض متبنياتها الفكرية والعقدية التي تأثرت بالموروث البيئي لكتب التراث الفقهي والكلامي، التي دونت في عصر التعصب المذهبي والطائفي، والذي ترك وراه انهاراً من الدماء على طول التاريخ الاسلامي، هذه المتبنيات الفكرية التي تتمسّك بها الحركات التكفيرية وتنتسب إليها، بمختلف مسمَّياتها وانتماءاتها، تمثل انعكاساً واضحاً للايدلوجية التي ترسم معالم فكرها التكفيري، وتحدّد مسارها التاريخي، والتي لاتنسجم مع حركة التطور والانفتاح على الايلوجيات الفكرية الاخرى، كون متبنياتها الفكرية تأتي دائماً متأزمة ومضطربة نتيجة لحالة التسافل والانحطاط الذي ينم عن فساد منظومتها الفكرية، التي انتجت لنا الكثير من الحركات السلفية التي هيمنت على الساحة الجهادية، وأشهرها حركة«داعش»، التي ذاع صيتها في البلدان، وتوسعت رقعتها لتشمل العراق والشام، بعد أن رفعت شعار التوحيد والجهاد لقتال أهل الشرك والردة، لكن سرعان ما انكفأت على اعقابها، بعد أن أوغلت بدماء الابرياء بمختلف شرائح المجتمع العراقي على نحو الخصوص، ولم يسلم من فتكها حتى الذين وطئوا الارضية لدخولها في العراق، خصوصاً بعد خروج المحتل من العراق، حيث زاد بطشها بعد أن رفعت شعار المنطق الميكافيلي، «الغاية تبرر الوسيلة»، وأصبح شعار الجهاد الذي تعتبره رأس مالها، وبضاعتها المزجاة، صار ارهاباً مؤدلجاً بشعارات دينية، الامر الذي افقدها جاذبيتها وحضورها في الساحة الإسلامية، وأقصائها عن دوائر الحظوة والتقريب عند أصحاب القرار السياسي والتمويل المالي، لأنها افكار وعقائد تنطوي على رؤى ومتبنيات سلفية ماضوية، وهذا ما لمسناه من خلال تمسّكهم بمظاهر السلف من طول اللحى وقصر الثياب وتجثم الوجه وسلاطة اللسان ورفع الراية السوداء التي يزعمون أنها راية الاسلام التي حملها النبي(صلى الله عليه واله وسلم)، وازالة كل معالم الحياة الحديثة بدعوى مخالفته لتعاليم الاسلام واتهموها بالابتداع والردّة.

من هذا المنطلق وبوصفي باحثاً في المجال الفكري والعقدّي للتيارات السلفية الوهابية، أحببت أن أضع لمساتي في هذه الورقة البحثية التي رمت تقدّيمها في هذا المؤتمر، حاولت من خلالها أن أقدّم نشاطاً فكرياً يهتم بدراسة المباني الفكرية والعقدّية للتجمعات التكفيرية، من خلال طرح مصطلح الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) الذي يعتبر من المصطلحات المعاصرة الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمداً على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل، ومن خلاله تعمقت في عقاد ومتبنيات الفكر التكفيري الذي كان يحظى بموقعية دينية في المجتمعات العربية ذات العمق السلفي، التي بلغت ذروتها في في نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الهجري، أبان الحركة السلفية التي يتزعمها (ابن تيمية الحراني)، واستنتجت في نهاية المطاف أنَّ الارهاب الفكري، الذي انتشر وذاع صيته في الارجاء، ماهو إلا ظاهرة سياسيّة تنحى منحىً راديكالياً متطرفاً، وأن متبنياتها الفكرية مؤدلجة بعقائد دينية لجذب الدعاة إلى الفكر السلفي لأغراض سياسية غايتها اسقاط بعض

الانظمة الحكومية كما حصل في سوريا أخيراً، وكذلك للحد من انتشار المتبنيات الفكرية والعقدّية للمذهب الشيعي الذي اجتاح الساحة الفكرية وتوسع حتّى شمل اوساط المجتمعات الاسلامية والاوربية، والقارة الامريكية والافريقية.

وهذه الدراسة استنتجناها رهين المصطلح المعرفي (الأنثروبولوجي) الذي استطعنا من خلاله تحديد موقعية الارهاب الفكري من التراث الإسلامي، ومدى درجات القرب من الاسلام، باعتبار أن دراسة التراث الإسلامي، تجربة بشرية ناجحة خاضها الإنسان وهي قابلة للتغيير بحسب المساحة المرنة في التراث الإسلامي، وهذا يجعله قادراً على مواكبة حركة التاريخ ومؤثراً في تطوير المناهج الفكرية والعقدّية وفك عقد التراث الفكري لبعض الحركات المذهبية التي تلفعت برداء الاسلام ولبست المسوح من الثياب فغشي فكرهم من غشيً من البسطاء وضعفاء العقول، فانهالوا عليهم بفيض من الروايات الموضوعة والاحاديث المجسّمة، لكن بفضل هذه العلوم المتعدّدة الوجوه، استطاع التراث الاسلامي أن يحافظ على مركزيته من التاريخ بكشف زيف وخداع هذه التيارات المنحرفة، ونشر مناهج علمية تفسح المجال أمام جميع المذاهب الاسلاميّة، للمشاركة في كتابة التراث الإسلامي بطريقة معاصرة تكون أقل وطأة من المناهج التكفيرية وأشد وفاءاً بمتطلبات العصر، وتأسيساً على ذلك، نرى من الضروري بمكان الاستفادة من القراءات المعاصرة للقرآن الكريم والصحيح من السنّة النبوية الشريفة وتحرير العقل من متاهات التكفير والانغلاق التي ظل حبيساً فيها، لأن التراث الديني يمر اليوم بانعطافه شديدة وهو بأمس الحاجة إلى من يأخذ بيده ويخرجه من متاهات العتمة ويفك رموزه المغلقة، وذلك من خلال طرح قراءات جديدة للسلم المجتمعي وبث روح التسامح مع اطياف المجتمع بكافة تنوعاته، والابتعاد عن المناهج المنغلقة التي تحث على الكراهية والتكفير والقتل، ونبذ روح العداء.

أهمية البحث:

يحظى هذا البحث بمكانة محورية تنطوي على عدد من الاغراض المهمّة ذات القيمة العالية وراء اختياري لهذا الموضوع والتي اطمح من وراءه الاجابة على أهم المباني الفكرية والعقدّية لهذه التيارات والحركات التكفيرية المثارة للجدل، والحقيقة إنَّ جملة من الأغراض التي تكتنف موضوع البحث تحتاج إلى بيان اجابات واضحة وصريحة، ولن نعدم القول بوجود من يتنكب طريق الحياد ويغض الطرف عن الحقيقة في كشف عوار هذه الحركات، مع أنه ممن يدّعي التبريء منهم ومن أفكارهم، ويمكن إرجاع ذلك لعامل أنثروبولوجي أو أنسني كامن في طبيعة تركيبته وبنيته البيولوجية، فلا غرابة إن قلنا أنها مسألة عصيّة للتغيير.

ولعلنا في هذه الورقة البحثية نقف على بعض مواطن الضعف في تحجيم هذه الافكار والحدّ من انتشارها، وارجاع السبب في ذلك إلى بعض الدول والمنظمات التي تعمل بالخفاء والعلن وهم في الحقيقة من ضمن دائرة الذات نفسها ومن المسلمين أنفسهم.

فائدة البحث:

لعل المشروع التوعوي الذي تقوده المؤسسات الدينية، والجامعات الاكاديمية بالتعاون مع مؤسسة الحشد الشعبي، يسمح بفتح نافذة جديدة للتعريف بالإسلام الاصيل المبتني على الاعتدال والوسطية، وأن التطرف الديني الذي تقوده بعض الحركات المتطرفة، تحت عناوين مختلقة وبدعم دولي، بات لا يقوى على الامتداد والتجذّر في نشر تلك الافكار والعقائدية المبتنية على (نظرية دولة الخلافة الإسلامية)، ورفع شعار (التوحيد والجهاد) القائم على القتل والتفجير، وسوف نوضح مدى ضحالة هذه الافكار والمتبنياة العقدية وانحساره في بقعة جغرافية معيّة، وأن كل فكر مذهبي قائم على التطرف والارهاب لا يمكن أن يقوى على الاستمرار وأن توشح برداء الإسلام.

المبحث الاول: المبحث الاول: دراسة انثربولوجيا الارهاب الفكري

في هذا المبحث نحاول أن تكون لنا قراءة واعية بحسب طبيعة البحث بعيداً عن السرد التاريخي للنشأة والانتماء والآراء الفقهية والعقائد الكلاميّة، بقدّر ما يهمنا في البحث عن طبيعة هذا الفكر ومتبنياته العقدّية واثاره الوضعية على السلم المجتمعي.

المطلب الاول: مفاهيم لغوية واصطلاحية وقانونية

الفرع الأول: لمحة عن الارهاب الفكري

ينقسم الارهاب الفكري إلى مفردتين أساسيتين، هما(الارهاب) و(الفكر)، ويشكلان بمجموعهما، مصطلحاً عدوانياً، وهو من نتاجات الفكر الغربي الذي يسعى لتضليل افكار الشباب وخصوصاً من هم في سن المراهقة، الذين تتطلي عليهم الافكار الحديثة والمعاصرة، ذات الصبغة الفكرية والعقدية غير المنتظمة، التي تتحول فيما بعد إلى سلوك عدواني يهدد سلامة وأمن المجتمع الانساني، وذلك عبر وسائل الاعلام المرئية، والمناهج التعليمية، والمحاضرات والخطابات الدينية.

وعليه اصبح من الصعب بمكان لأصحاب الاختصاص تحديد المفاهيم اللغوية والاصطلاحية للإرهاب بشكل عام، وللإرهاب الفكري بشكل خاص، فلم تتوصل المعاجم والقواميس والموسوعات إلى إعطاء صيغة واضحة المعالم، وإن تحّدثت عن بعض ملامحه، نظراً لاختلاف الأيدولوجيات والفلسفات الفكرية للأديان والمذاهب والمعتقدات، فكل فلسفة ومعتقد فكري، يضع تعريفاً خاصاً للإرهاب بشكل عام، والارهاب الفكري بشكل خاص، بما ينسجم ومعتقداتهم الفكرية، مستدلين بذلك على نصوص عقدية منبعها الكتاب والسنَّة، لتكون دافعاً حقيقياً لترويج فكرة الجهاد.

الفرع الثاني: التعريف بالمفاهيم الأساسية للموضوع

اولاً: المباني لغة واصطلاحاً

المبنى لغة مأخوذ من بَنى يبني بناءً، يقال: بنى فلان بيتاً من البنيان، وهو مصدر كالغفران، وقال الجوهري: «البنيان: الحائط، فسُمّي به المبنى، مثل الخلق إذا أردت به المخلوق»(١).

اصطلاحاً: هو مشتق من عَقَدَ، وهي أصل اعتقد يعتقد، قال ابن فارس: «العين، والقاف، والدّال، أصل واحد يدل على شدّ، وشدّةٍ، وثوق، فالاعتقاد: افتعال من عقد القلب على الشيء إذا لم يزل عنه، وأصل العقد: ربط الشيء بالشيء، فالاعتقاد: ارتباط القلب بما انطوى عليه ولزمه، ويطلق العلماء الاعتقاد على معنيين:

الأول: التصديق مطلقاً: أعمّ من أن يكون جازماً أو غير جازم، مطابقاً أو غير مطابق، ثابتاً أو غير ثابت.

الثاني: اليقين: «هو أعلى درجات العلم، والاعتقاد: عقد القلب على الشيء وإثباته في نفسه»(٢).

ثانياً: الفكر لغة واصطلاحاً

الفكر لغة «الفاء والكاف والراء: تردّد القلب في الشيء، يقال: تفكَّر، إذا رَدَّدَ قلبه معتبرًا، ورجل فِكِّيرٌ: كثير الفكر»(٣).

قال الجوهري: «التفكَّر، التأمل، والاسم الفكر، والفكرة، والمصدر الفكر بالفتح، ويقال ليس لي في هذا الامر فكر، أي ليس لي فيه حاجة، ورجل فكير، أي كثير التفكر"(٤).

وقال ابن سيده: «الفكرة: اعمال الخاطر في الشيء والجمع فكرة»(٥).

اصطلاحاً: فقد عرفه شيخ الطائفة بقوله: «هو التأمل في الشيء المتفكر فيه، والتمثيل بينه وبين غيره، وبهذا يتميز من سائر الاعراض من الارادة والاعتقاد، وليس في المتعلقات بأغيارها شيء يتعلق بكون الشيء على صفة أو ليس عليها غير النظر– والنظر هو الفكر»(٦).

وعرفه التهانوي بقوله: «الفكر الذي يطلب به من قام به علماً أو غلبة ظن وينقسم إلى قسمين: إلى الصحيح وإلى الفاسد»(٧).

ثالثاً: الارهاب الفكري لغة واصطلاحاً

---

(١) الجوهري، إسماعيل بن حماد(ت:٣٩٣هـ)، الصحاح، ج٦، ص٢٢٨٦، مادّة «بنا».
(٢) عبد المنعم، محمد عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية،ج١، ص٢٢٧.
(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ج٤، ص٤٤٦، مادة (فكر).
(٤) الجوهري، الصحاح، ج٢، ص٧٨٣.
(٥) ابن سيده، المخصص، السفر الثالث عشر، ص ٧٤٥.
(٦) الطوسي، الاقتصاد، ص٩٤.
(٧) التهانوي، محمد بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج ٣، ص١١٢١.

الإرهاب لغة :«الراء والهاء والباء أصلان: أحدهما يدل على خوف، والآخر يدل على دقة وخفة، فالأول الرهبة، تقول: رهبت الشيء رُهباً، ورَهْبَةً، ومن الباب الإرهاب، وهو قَدْعُ الإبل من الحوض، وذيَادُهَا، والأصل الآخر الرَّهَبُ، الناقة المهزولة» [١].

قال بن منظور: «الرهب الجزم، بلغة في الرهب، والرهباء أسم من الرهب، نقول: الرهباء من الله والرغباء إليه، وفي حديث الدعاء : رغبةً ورهبة إليك، والرهبة الخوف، وأرهبه رهبة : أي أخافه وأفزعه، واسترهبه: استرعى رهبته حق رهبة الناس»[٢].

وفي المعجم الوسيط: الأرهابيون: «وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية»[٣].

وفي الرائد: «رعب تحدثه أعمال عنف كالقتل وإلقاء المتفجرات أو التخريب، والإرهابي هو مَنْ يلجأ إلى الإرهاب بالقتل أو إلقاء المتفجرات أو التخريب لإقامة سلطة أو تقويض أخرى، والحكم الإرهابي هو نوع من الحكم الاستبدادي يقوم على سياسة الشعب بالشدة والعنف بغية القضاء على النزعات والحركات التحررية والاستقلالية»[٤]. والاستقلالية»[٤].

اصطلاحاً، فقد عرفه معجم المصطلحات الفقهية والقانونية: «عمل تهديدي تخريبي يُقصد منه زرع الخوف والذعر في نفوس الاهالي، وخلق الاضطراب، وزرع الفوضى بهدف الوصول الى غايات معينة»[٥].

وعرفه مركز البحوث الاسلامية في جامعة الازهر: فقد عرفوا الارهاب بعد أحداث الحادي عشر من أيلول : «هو ترويع الآمنين وتدمير مصالحهم ومقومات حياتهم والاعتداء على أموالهم وأعراضهم وحرياتهم وكرامتهم الإنسانية بغياً وافساداً في الارض، ومن حق الدولة التي يقع على أراضيها هذا الإرهاب الأثيم أن تبحث عن المجرمين وأن تقدمهم للهيئات القضائية لكي تقول كلمتا العادلة فيهم»[٦].

وعرفه السقاف: «رمي مخالفيهم من المذاهب الاخر بالابتداع والشرك والجهمية والتعطيل والالحاد، وأنهم أعداء السنَّة والتوحيد، ويدخل في ذلك تقسيم التوحيد، إلى توحيد الوهية وتوحيد ربوبية»[٧].

وعّرفه الطويلة: «محاولة فرد أو مجموعة من الأفراد أو الجماعات، فرض رأي أو فكر أو مذهب أو دين أو موقف معين من قضية من القضايا، بالقوة والأساليب العنيفة، على أناس أو شعوب أو دول، بدلاً من اللجوء إلى

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص ٤٠١، مادة رهب.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٤٣٦.
(٣) نخب من الباحثين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص ٢٨٢.
(٤) جبران، مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، ص ٨٨.
(٥) جرجيس، د. جرجيس، معجم المصطلحات الفقهية والقانونية ١ ص ٢٤٨.
(٦) عواد، سامي علي، الارهاب المعاصر، ص١٩.
(٧) السقاف، حسن بن علي، السلفية الوهابية، أفكارها الاساسية، جذورها التاريخية، ص٧١.

الحوار والوسائل المشروعة الحضارية، وهذه الجماعات أو الأفراد تحاول فرض هذه الأفكار بالقوة لأنها تعتبر نفسها على صواب والأغلبية مهما كانت نسبتها على ضلال، وتعطي نفسها وضع الوصاية عليها تحت أي مبرر»[١].

الفكر لغة:

« فكَرَ؛ الفاء والكاف والراء: تردّد القلب في الشيء، يقال: تفكَّر، إذا رَدَّدَ قلبه معتبرًا، ورجل فِكِّيرٌ: كثير الفكر»[٢].

اصطلاحاً:

« الفكر الذي يطلب به من قام به علماً أو غلبة ظن وينقسم إلى قسمين: إلى الصحيح وإلى الفاسد»(٣).

السلم المجتمعي لغة:

« من المسالمة، تقول: أنا سلم لمن سالمني وتسالموا تصالحوا والمسالمة المصالحة»[٤].

اصطلاحاً:

«وهو ضد الحرب، ويعد عاملاً اساسياً لتقدم الامم وازدهارها، وهذا المعنى المتعارف عليه، أي حالة أمة، أو دولة، ليست في حرب»[٥]، وهو« الحاجة الفطرية إلى العيش بطمأنينة وسلام على وفق مبدء التفاهم والانسجام والتآلف بين الناس، وهذا الامر بدوره يؤدي إلى الهدوء والتفاهم المشترك؛ لأن الانسان ضمن مجموعات اخرى تعيش حالة من الاخاء بين مواطنيها»[٦].

وهذه التعريفات تؤكد على ضرورة الحفاظ على مؤسسات الدولة وتأمين حمايتها، بما يخدم استقرار مواطنيها الذين يعيشون بكنفها وتحت حمايتها، من تدخل الافكار والايدلوجيات الغربية المتطرفة، التي تترجم على هيئة حركات تكفيرية تسعى إلى قيام دولة اسلامية على غرار السلف الصالح.

المطلب الثاني: دراسة تاريخية لنشأة الإرهاب الفكري

بنظرة فاحصة يستتبعها نوعاً من التأمل والانشداد الذهني لقراءة التاريخ؛ قراءة تحليلية ناضجة بعيداً عن أيّ لون من ألوان الضمور الطائفي والاجترار القومي، ومَن ثم عرضها على القرآن الكريم واستنطاق آياته الشريفة الحاكية

(١) حمدان، د. سعيد بن سعيد ناصر، وعبد الله، د. سيد جاب الله، دور المؤسسات الاجتماعية في تحقيق الامن الفكري، بحث مقدم الى المؤتمر الوطني للأمن الفكري.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ج٤،ص٤٤٦، دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ- /١٩٩١م، مادة (فكر).

(٣) التهانوي،محمد بن علي ،كشاف اصطلاحات الفنون، ج ٣، ص١١٢١ ، دار صادر-بيروت.

(٤) ابن منظور، لسان العرب،ج١٢،ص٢٩٧،،الراغب الأصفهاني، المفردات،ج١،ص ٤٢٣.

(٥) اياد كامل الزيباري، التداول السلمي للسلطة في نظام الحكم الاسلامي، ص٢٢، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

(٦) محمد وائل القيسي، السلم المجتمعي، المقومات وآليات الحماية(محافظة نينوى إنموذجا)، ص٣، مركز نون للدراسات،د٢٠١٧،١.،

عن تركيبة المجتمع – أي مجتمع كان– وطبيعته النفسية والفسيولوجية، نرى المستوى المتردي الذي آلت إليه المجتمعات من أصحاب الديانات السماوية والوثنية قبل الإسلام، وما وصلت إليه من انحراف عقائدي واضطهاد سياسي واجتماعي خلّف وراءه الكثير من النعرات الطائفية وإذكاء روح العداوة إلى غير ذلك من مفاسد جمعها البيان الإلهي.

هذه الموروثات البيئية خلّفت لنا سلوكاً مضطرباً مغايراً للطبيعة الإنسانية، إذ لاشك أنّ للموروث البيئي دوراً مهماً في تحديد فكر الانسان وتوجهاته الدينية والاجتماعية والسياسية، حيث تصبح الموروثات البيئية مع مرور الزمن ومع الاعتياد عليها قولاً وسلوكاً : حقائق ثابتة لا يجوز الخروج عليها، فإذا ما عرض على الانسان شيء يخالف معتقداته فإنّ الرواسب الفكرية لمجتمعه والتي أصبحت تجري في عروقه تنبعث عنده تلقائياً وتقف في وجه كل من يخالفها[١]، فهي كما قلنا لها اليد الطولى في اصطباغ السكان بصبغتها، بحيث تفرض ضرورتها على الناس وتشكّل طباعهم، هذا التغيّر الجغرافي شكّل عنصراً مفصلياً في نشأت التطرف والتعصب القبلي، حيث ساهمت البيئة في احداث أزمات اقتصادية واجتماعية وسياسية أدت إلى أحداث حالة من الرفض الجماعي كنتيجة للتعبير عن الرفض والسخط؛ كرد فعل للتهميش الاجتماعي والهر السلطوي، خصوصاً إذا ما أمعنا النظر في الحقبة الزمنية التي عاشتها الجزيرة العربية قبل الإسلام، فالجزيرة العربية كانت محاطة بثلاث دول إقليمية كبرى، هي دولة الروم في المغرب، ودولة الفرس في المشرق، ودولة الاحباش في الجنوب الغربي، وهي قوى سياسية وحضارية كبرى، في حين كان العرب في مكّة وما حولها لا يعرفون في تلك الفترة مفهوم الدولة والسلطة السياسية ولا التنظيم الإداري، ولا الحياة المدنيّة المستقرّة، وإنمّا كانوا ينظوون تحت سلطة القبيلة وتسلّط الأسياد والأقوياء على الفقراء والعبيد، وكان النظام السائد آنذاك هو مبدأ الغارة والصراع من أجل البقاء، بحيث يصبح التسامح فيها شيئاً من التهاون في حقّ الذات وحقّ الجماعة، حتّى أنّ القبيلة إذا لم تجد من تغير عليه من أعدائها فأنّها تغير على أصدقائها، وحتّى على أبناء عمها، يقول القطامي :

وكن إذا أغرنَّ على قبيل .....وأعوزهنَّ نهب حيث كانا
أغرنَّ من الضباب على حلال..... وضبة إنه من حان حانا
وأحيانا على بكر أخينا إذا..... ما لم نجد إلا أخانا[٢].

هذا المستوى المتدني من التفكير ناجم عن الانعكاس الحقيقي للموروث البيئي، فالجزيرة العربية، بحسب طبيعتها الجغرافية القاحلة والمجدبة، كانت تفرض عليهم شروط حياة صعبة قاسية جعلت من حياتهم سلسلة من الأخطار والمتاعب اليومية، لا سيمّا في سنيٍّ انحباس السماء وانقطاع الغيث وغضب السماء على الأرض ونفورها منها، حيث تقطع غرامها بها، فتحبس عنها دموعها المعبّرة عن شوق السماء إلى الأرض، وعن مكانهم المنكوب إلى

(١)الاشقر، د. عمر ، أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنّة والجماعة، ص ٢٣٣ – ٢٣٤.
(٢) العاملي، مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ص١٨.

مكان آخر فيه ماء: بئر أو ماء جار، أو عين دائمة والاستيلاء عليه عنوةً وقهراً، أو صلحاً بغير قتال، وذلك إذا وجد أصحاب الماء أنّ من غير الممكن لهم، مقاومة الغزاة، وأنّ خير ما يفعلونه للحفاظ على حياتهم، هو ترضية الغازين والتودد إليهم، وإرضائهم من غير حرب ولا قتال، وفي ذلك توفيق بين مصلحة الغازين والقارين [١].

وأمّا المستوى المعيشي فكان في غاية الانحطاط والتدني، بحيث كان الفقر والبؤس والجهل والمرض، أشباحاً مرعبة تسيطر على قبائل العرب المتناثرة في جزيرتها الموحشة الجرداء، هذه الصورة المأساوية يرسمها مولى الموحدين أمير المؤمنين(عليه السلام) بقوله: "وأنتم معشر العرب على شرّ دين، وفي شرّ دار، تنيخون بين حجارة خشن، وحيات صم، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام فيكم معصوبة"[٢]، وهكذا تتجسّد طبيعة ذلك المجتمع الجاهلي المتخلّف الذي وصفه بوصف دقيق جعفر ابن أبي طالب، في حديثه للنجاشي ملك الحبشة بقوله: "أيُّها الملك كنّا أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسيء الجِوار، ويأكل القويُّ منّا الضعيفَ"[٣]، وفي حديثٍ للمغيرة بن شعبة لملك الفرس يزدجرد : "وأمّا ما ذكرت من سوء الحال، فما كان أسوأ حالاً منّا، وأمّا جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنّا نأكل الخنافس والجعلان، والحيات، ونرى ذلك طعامنا، أمّا المنازل فإنما هي ظهر الأرض، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل، وأشعار الغنم، ديننا أن يقتل بعضنا بعضا، وأن يبغي بعضنا على بعض، وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية، كراهية أن تأكل من طعامه" [٤].

هذه الصورة رسمها لنا القرآن الكريم كواقع حي لذلك المجتمع المتوحش الذي قست قلوب ساكنيه، فكان لا يرى سوى حقه في البقاء بحيث وصل بهم البؤس والفقر إلى قتل أولادهم والتخلّص منهم.

وقد عكست إحدى آيات القرآن الكريم هذه الصورة المأساوية المروّعة بنصها: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾[٥]، وقال تعالى:﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلاَدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاء عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾[٦]، فشرحت أبعاد المأساة الاقتصادية والوضع الاجتماعي المتردّي الّذي كان يعيشه العرب تحت وطأة الجاهلية، بل وكان أحدهم إذا ولدت امرأته بنتاً، سيطر عليه الهمّ والحزن، وشعر بالخوف من العار وسوء السُّمعة، ولجأ إلى قتلها أو دفنها حيّة أو تقبّلها على مضض واحتقار وكراهية؛ فكانت المرأة ضحيّة هذه العقلية المتخلّفة والأعراف الاجتماعية البالية، حتّى بلغت الجريمة والقساوة والوحشية بأولئك القساة الجفاة أن يدفنوا بناتهم وهُنَّ أحياء، للتخلّص من الإنفاق عليهنّ، ومن العار والشنار الّذي يخشون وقوعه من المرأة.

---

(١) علي، د. جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ١١٥١.
(٢) عبده، محمد، شرح نهج البلاغة، الخطبة ٢٥ .
(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٨٠ .
(٤) ابن كثير، البداية والنهاية ج ٧ ص ٤٢ ؛ الطبري، تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٨؛ وحياة الصحابة ج ١ ص ٢٢٠ ، ولكلامه هذا نص آخر ذكره في الاخبار الطوال، ص ١٢١ .
(٥) الاسراء:٣١.
(٦) الانعام:١٤٠.

ويسجِّل القرآن تلك المشاهد المأساويّة في تاريخ المرأة المنكودة، وينتصر لها ويدافع عن إنسانيّتها المعذّبة، فينادي في مجتمع العرب آنذاك مستنكراً أعرافهم ومواقفهم بقوله : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ ! يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَ يُمْسِكُهُ عَلَى هُون أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (١)، وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا المَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ! بِأَيِّ ذَنْب قُتِلَتْ﴾ (٢).

هذه الصور بأجمعها تمثل انعكاس حقيقي لصورة المجتمع العربي، الذي كان يسكن في تلك البادية القاحلة والمجدبة، ذلك المجتمع الذي عرف ببداوته وعنجهيته المتأصلة في تراثه اليومي والتي تجسدت من خلال تصرفاته اليومية على شكل إرهاب منتظم يبتني على القتل والجريمة من أجل البقاء.

المطلب الثالث: التكوين الأنثروبولوجي للعقلية العربية واثرها في انتشار الفكر التكفيري

إنّه من الصعب بمكان تحديد الخطوط العريضة للتكوين الأنثروبولوجي للفكر التكفيري، الذي انطوى على مجموعة من الافكار والأيدولوجيات التي اجترها من النظريات الغربية، والتي تحولت عبر قرون إلى مذاهب فكرية ذات صبغة إسلاميّة تنطوي على مجموعة من العقائد المتحجّرة التي لاقت رواجاً في الفضاء السنّي نتيجة للجهل السائد يومذاك على مركز القرار، الذين يتمسكون بسيرة السلف الصالح باعتبارهم أُمنّاء على الوحي، فتشبهوا بهم حذو النعل بالنعل، ولبسّوا قصر الثياب واطالوا اللحى وفرّقوا الشعر الطويل، حتّى خيِّل لهم أنَّهم اعلم أهل الارض؛ بل فاقوا الاوائل، كونهم أتباع السلف الصالح الذين خصّهم النبي (صل الله عليه واله وسلم) بالخيرية، كما جاء ذلك في الحديث: "خير الناس قرني ثمّ الذين يلونهم"(٣)، كما أنّهم اظهروا الولاء والبراء كشريعة عقدّية توجب على معتقديها التبريء والقطيعة الرحمية على مستوى الاباء والابناء، فضلاً عن التبري القولي أو القلبي، واعلنوا الجهاد وقتل كل مرتد، وفرض الجزيّة على غير المسلم حتى لو كان مواطن يحمل جنسية البلد الاسلامي.

ولا مناص من القول أنَّ لطبيعة البقعة الجغرافية التي نشأ فيها هذا الفكر اثر سلباً على فسيولوجية معتنقيه الذي عُرف بإرهاصاته السلوكية المضطربة وانحرافاته العقائدية وقد أعجبتهم طول سجودهم وركوعهم وطنطنتهم بالليل، ممّا افقدهم التوازن في اعتراضهم على كثير من العقائد الإسلاميّة الأصيلة، والتطاول على صاحب مقام النبي(صل الله عليه واله وسلم)،ونعتوه بالرمة بالية التي لا تضر ولا تنفع، والتي انعكست من خلال تصرفاتهم اليومية على شكل إرهاب منظّم يبتني على القتل والجريمة، ولأبن خلدون مقولة في بيان طبيعة العرب، قال: "العرب . وهم بدو بالطبع . وإن كانوا أقرب إلى الخير، وأسرع الناس قبولاً للحقّ والهدى، فإنهّم . بطبيعة التوحش الذي فيهم . أهل

(١) النّحل:٥٨، ٥٩ .
(٢) التكوير: ٨-٩.
(٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج٧ ، ص٦ ؛ النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج٨ : ص٨٤ - ٨٥ .

انتهاب وعبث، إذا تغلّبوا على الأوطان أسرع إليها الخراب"[١].

هذا التكوين الانثربولوجي بين الطبيعة الجغرافية لمدينة نجد ومن حولها من مدن الحجاز وعسير وبين التركيبة الفكرية لسكانها يكشف لنا عن حقيقة الفكر السلفي الوهابي، وأنه فكر انطوائي، يشبه إلى حد كبير لفكر الخوارج، الذين صنّفوا تأريخياً بأنهم فرقة ضالة، تبتني على عقائد سطحية قد تأصلت فيهم وأكسبتهم لياقة وجرأة آحادية اقصائية ذات منحىً جاهلي، ممّا افقدتهم توازنهم بالتهجم على نبي الإسلام، كما جاء ذلك في حادثة حرقوص، أو ذو الخويصرة التميمي هو الذي اعترض على تقسيم النبي (صل الله عليه واله وسلم) للغنائم وقال له اعدل يا محمد، فقال له النبي(صل الله عليه واله وسلم) :"ويلك إن لم أعدل فمن يعدل"[٢].

هذا الانطواء الفكري والازدراء بالرأي الاخر ظهرت عقائد انبثقت عنها حركات إرهابية وحشية، تمارس العنف، وإزهاق النفوس، وقطع الرؤوس، واختطاف الأبرياء، واستهداف المدنيين، كلّ ذلك باسم الدين، وتحت شعار الإسلام، وبعنوان الدفاع عن التوحيد وتجسيم الذات الإلهية المقدّسة [٣].

هذا هو مذهب الأعراب في سطحيتهم وعنفهم وليس هو دأب العرب من أهل الحضارة والمدنية، ولقد كان رفيق دربهم وزعيم حزبهم (محمّد بن عبد الوهاب) ذكياً في اعتماده على أهل البدو لنصرة دعوته المتناسبة مع نفسيتهم وغايتهم المحدودة والتي لا ترى في العمران كما يقول ابن خلدون في مقدمته سوى حجر الأثافي والقدر المغلي عليها، ناهيك عن رد فعل لما لقيه من تعنّت ورفض أهل الحضر وضعفه عن مجابهتهم، فهو على عكس أستاذه ابن تيمية الذي لجأ إلى أهل المدن، فكان الرد عليه قوياً وكانت نتائج دعوته على أرض الواقع محدودة الأثر ولم يتيسر له من الانتصار مثلما حصل لمحمد بن عبد الوهاب[٤] .

المبحث الثاني: المباني المعرفية لعقيدة التطرف الفكري

المطلب الاول: مفهوم العنف في التكوين الانثربولوجي

يعدَّ العنف من المفاهيم المغايرة للطبيعة الإنسانية، فلا يمكن عدَّه من الغرائز الفطرية التي ينشأ ويترعرع الانسان عليها، بقدر ما يمكن عدَّه انشطاراً فكرياً، واضطراباً سايكلوجياً، يهدد السلم المجتمعي وينخر نسيجه الطائفي، فكل شعب يتكون من مجموعة من الطوائف الدينية، تربطهم وشائج وعلاقات اجتماعية واقتصادية، فإذا اختل التوازن في هذا النسيج، يصبح المجتمع عرضة للانهيار، لأن العنف كظاهرة اجتماعية قد يصدر من طرف ما قد يكون فرداً أو جماعة أو طبقة اجتماعية، موجها الى الغير بقصد اقصاءه أو اخضاعه أو استغلاله أو توريطه انطلاقاً من

---

(١) الرميحي، د. محمد، الطريق إلى المستقبل: هل يمكن اكتشاف القوى الكامنة في التخلف العربي؟، مجلة (العربي)، العدد ٤٥٩، رمضان ١٤١٧هـ، فبراير (شباط) ١٩٩٧م/ ١٨- ١٩.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج٢، ص١٧٢.

(٣) الصفار، حسن موسى، الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان، ص٢٢.

(٤) الصعيدي، عبد المتعال، المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر مكتبة الحماميزي، ص ٤٣٩.

متبنيات دينية أو عرقية أو جنسية أو عنصرية أو أي عامل هوية آخر، في أطار علاقة غير متكافئة، مما يتسبب في إحداث أضرار مادية أو معنوية أو نفسية لفرد أو جماعة أو طبقة اجتماعية، فالعنف بإرهاصاته ومتوالياته الكثيرة هو أحد الأسباب الرئيسة لإخفاق مشاريع السلم المجتمعي، لذلك تقتضي الضرورة للوقوف بحزم ضد كل ظواهر العنف والتطرف والارهابي، وإن استمرار هذه الظاهرة الخطيرة يهدّد كل المجتمعات في وجودها ومكاسبها؛ لذلك فإن الوقوف الحازم ضد ظاهرة العنف هي الخطوة الأولى للقضاء عليه، ودون ذلك سينهار الامن الفكري والاجتماعي من الداخل وسيدخل في أتون الحروب العبثية التي تفقد المجتمع كل تماسكه وقواه، وسوف يتوسع ليشمل كل بقاع الارض، والحال هكذا، فقد توسعت تلك الايدلوجية عبر وسائل ممنهجة لتغدو ظاهرة دولية يلجأ إليها أقطاب الصراع في تحقيق أهدافهم ومأربهم المنشودة حتى يشل في الواقع نمو المشاركة الجماهيرية الأوسع إذ يبني في النهاية (الدولة– الفئة) ضد مشروع (الدولة– الأمة) الذي وحده يناط به إلغاء السلطات التقليدية، وصهرها في بوتقة المشاركة الأشمل.

وعموماً غذت أخبار العنف الذي هو في الحقيقة أحد مصاديق الإرهاب الدولي، جزءاً كبيراً من الحياة اليومية للمجتمعات في عالمنا الحاضر، فلم تعدّ تقتصر أخباره على رقعة جغرافية معينّة، وإنما توسعت حتى غدت مشكلة دولية تتخذها دولة تفرض سياستها على شعب من الشعوب، لإشاعة الروح الانهزامية والرضوخ لمطالبها التعسفية أو تستعمل الإرهاب جماعة في تلك الدولة لترويع المدنيين لتحقيق أطماعها حتى تفرض الأقلية حكمها على الأكثرية، كما كان الحال في جنوب أفريقيا.

ضمن هذا السياق قد تدعم بعض الحكومات سراً بعض الجماعات الإرهابية بتزويدها بالسلاح والتدريب والمال اللازم لتنفيذ هجماتهم الإرهابية التي يقومون بها، وهنا تتحول الحياة في نظر صانع العنف إلى حياة مريضة، تكثر فيها الميكروبات، وتتفشى فيها الأمراض والأزمات، ويضطرب فيها السلوك الاجتماعي، وتتشكل كل الظروف وعوامل الخصب لنمو ظاهرة العنف في تفريق كلمة الأمة.

المطلب الثاني: موقف الاسلام من الاقليات الدينية

منذ اليوم الاول لانبثاق نور الاسلام، الذي أطلَّ بنوره على أرجاء الجزيرة العربية، معلناً عن اطلالة يوم جديد، وتحوَّل جديد، شمل جميع المعالم الاجتماعية والاقتصادية والدينية، ابتداءً من تغيير نظام الحكم من نمط الحكومة الثيوقراطي، والنظام الرأسمالي، الذي تتزعمه مشيخة قريش إلى نمط الحكومة العالميّة، التي تقوم على القانون والمبادئ الدستورية. في هذه المرحلة وكخطوة أولى، تم انهاء النزاعات العدوانية بين قبيلتي الاوس والخزرج، بعد أن أخذت هذه الحرب مأخذها من كلا الجانبين، واستمرت لفترة طويلة، فهذا البراء بن معرور ـ في بيعة العقبة ـ يحدّث رسول الله(صل الله علي واله وسلم) قائلاً: «فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة، ورثناها كابراً عن كابر»[٢].

وفي المرحلة الثانية، تم فتح مكة من قبل الجيش الاسلامي، وفي خطوة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الحروب،

جسد من خلالها رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) كيف أنَّ الاسلام دين الرحمة لا دين الارهاب، بعد أن أمر بأن تؤخذ الراية من سعد بن عبادة لما رفع شعار «اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة»، وتعطى للإمام علي (عليه السلام):الذي نادى: «اليوم يوم المرحمة اليوم تحمى الحرمة»[١]، فكان أن فُتحت مكة سلمياً ولم تزهق أي روح، كما أنَّ النبي(صل الله عليه واله وسلم) فتح نافذة جديدة لمفهوم السلم الحضاري، الذي لم تألفها غطارسة قريش من قبل، وذلك لما خاطب قريشاً بقوله : «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، ولم يظهر عدائه لقريش وما فعلته به، كحق طبيعي في ممارسة العنف المضاد والمشروع بالمثل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾[٢].

ومن طرق الإمامية بأسانيد معتبرة، ومن طرق العامة –أنَّه كان إذا بعث سريَّةً من سراياه، دعا أميرها وأجلسه إلى جانبه وأوصاه بوصايا، ثم قال له: «اغزُ بسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، لا تغدُروا ولا تغلوا ولا تُمثِّلوا ولا تقتلوا وليداً» [٣]، وفي بعض الروايات:« أنَّ بلالاً مؤذن الرسول(صل الله عليه واله وسلم) لما سبي بمعية الجيش الاسلامي بعض نساء اليهود في بعض الحروب، مرَّ بالنساء على قتلاهنَّ، فبلغ ذلك رسول الله(صل الله عليه واله وسلم) فغضب على بلال غضباً شديداً، لأنه روَّع نساءً فمرَّ بهنَّ على قتلاهُنَّ» [٤].

وذكر المؤرخون من الفريقين: «أنَّ علي بن أبي طالب(عليه السلام) لما قتل عمر بن عبد ود، رجع إلى رسول الله(صل الله عليه واله وسلم) وهو متهلل الوجه، فاستقبله عمر بن الخطاب فقال له: له يا علي: هلَّا سلبتَ ابنَ عبد ود درعه، فإنه ليس في العرب خيراً منها؟ قال: استحييتُ أن أكشف عورة ابن عمي»[٥].

وقد شدَّد الامام عليٌّ (عليه السلام) على أمراء الجيش في جميع المعارك الثلاثة،(معركة صفين، والجمل، والنهروان)، أنَّه لا يحقُّ لأحد أن يُجهز على جريح، ولا يغدو خلف هارب، ولا أن يُمثِّل بقتيل.

نعم، وقعت حادثه في أيام الخليفة أبي بكر وأحدثت ضجيجاً على نطاق واسع في الحاضرة الإسلامية، فقد بعث أبو بكر خالد بن الوليد لمواجهة من يُعبَّر عنهم بالمرتدين، ومن ضمن من ذهب إليهم خالد بن الوليد قبيلة مالك بن نويرة –مالك بن نويرة قد ثبت عند جميع المسلمين من الفريقين أنه لم يرتدّ، وإنَّما تمنَّع من دفع الزكاة إلى أبي بكر لأنه فوجئ بأن يكون الخليفة أبو بكر، فتريَّث –، فذهب إليه خالد بن الوليد مع مجموعة من المسلمين، وفيهم أبو قتادة الأنصاري، وفيهم عبد الله بن عمر، فقالوا: إننا مسلمون، فعلام تقاتلونا؟ فأعطاهم الأمان، ثم غدر فأوثقهم، فأراد أن يقتلهم مع زعيمهم مالك بن نويرة، فقال: كيف تقتلون مسلمين؟! قال له: أنتم مرتدُّون. فشهد أبو قتادة الأنصاري أنهم لم يرتدُّوا، وإنهم صلُّوا معهم، وإنهم على الإسلام. إلَّا أنَّ مالك بن نويرة كانت له زوجة صبيحة الوجه، قال لخالد: إنما قتلتني هذه (ليلى)، قال: بل قتلك الله؛ لأنك ارتددت عن الإسلام. قال له: أنا مسلم، أشهد

(١) المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٧، ص ٢٧٢ .
(٢) النحل:٢٦.
(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٥ ص ٥٩.
(٤) ابن الأثير، أسد الغابة ، ج٥، ٤٩٠، الطبرسي، أعلام الورى، ج١، ص٢٠٩.
(٥) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد، ج١/ ١٠٤؛ الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان، ج٨، ص ١٣٣.

الشهادتين، وها أنا أرددها. لم ينفع ذلك، فقتلهم صبراً، وضرب أعناقهم، ثم أخذ رؤوسهم وجعلها أثافي للقدور (للطبخ) – القدور تحتاج إلى أن توضع أحجاراً تحتها حتى تُشعل النار، تحتها وهذه تسمى أثافي–، وضع خالد رؤوس مَن قتلهم –وفيهم مالك بن نويرة كما أفاد الطبري في تاريخه [١]، وغيره– تحت القدور! فغضب أبو قتادة وانسحب من الجيش وذهب إلى أبي بكر وأخبره بالخبر، فلم يعتن كثيراً بالموضوع، فذهب إلى عمر، فأبدى غضباً شديداً وذهب إلى أبي بكر وقال له: إنَّ خالد بن الوليد قتل مسلماً، ومثَّل به، ونزى على زوجته، فحقُّه الرَّجم والقصاص.

قال: تأوَّل فأخطأ، وما كنت لأشيم سيفاً سلَّه الله »[٢].

هذه القضية أحدثت سخطاً شديداً في أوساط المسلمين، حتى أنَّ عمر بن الخطاب وبمجرَّد أن تولى الخلافة عزل خالد بن الوليد من إمارة الجيش.

أما بخصوص الاقليات الدينية، وإن كنا لا نميل إلى هذه التسمية، غير أن الدستور العراقي لسنة(٢٠٢٥م)، قد ضمن هذه التسمية دستورياً واكاديمياً، كما جاء في المواد(٢-٣-٤- ٤١-٤٣)، وبعد التمثيل الرسمي لهذه الاقليات في المشاركات الدستورية في التمثيل السياسي في البرلمان العراقي، والحق في ممارسة طقوسهم والتعبير عن آرائهم ومعتقداتهم بحرية وسلام.

نعم حدث مالم يحمد عقباه بعد سقوط النظام الحاكم عام ٢٠٢٣، حيث انقلبت الموازين الاخلاقية من قبل بعض الحركات المتطرفة، المتمثلة بـ«داعش» الارهابي، خصوصاً بعد نكبة الموصل في حزيران سنة(٢٠٤م) حيث قامت هذه الحركة بانتهاك حقوقهم وتهديدهم بترك منازلهم تحت سطوة السلاح، وتهديدهم بالقتل والتهجير من ديارهم التي الفوها منذ آلاف السنين، ومن ثمَّ الاستيلاء على ممتلكاتهم وسبي نسائهم.

فعلى الرغم من كل هذه المآسي التي عانت منه تلك الاقليات الدينية، إلا أنهم يعلمون أنَّ هذه حرات متطرفة، لا تمت بصلة إلى الاسلام الذي عرف عنه بأنه دين السلام، وتحيته تحية الاسلام، كما أنهم يعلمون جيداً، كما هو واضح في كتبهم، موقف الامام علي (عليه السلام) منهم أثناء خلافته، وهو سر تعلقهم بشخصيته، فالإسلام كان ينظر إلى الطوائف الدينية بأنهم اقليات تحت حمايته، وان يتعامل معهم بمنهج حضاري يشف عن جوهر وحقيقة مبادئه وقيَّمه الاخلاقية، وأنَّ قوانينه محاطة بعناية إلهية تراعى حقوق جميع المخلوقات دون استثناء، ناهيك عن

---

(١) راجع: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص١٤؛ لطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٠٣، المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧، ص٢٠٦، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ٥٦١، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ج٢، ص١٣١.

(٢) النص: عن ابن أبي عون وغيره إن خالد بن الوليد ادعى إن مالك بن نويرة ارتد بكلام بلغه عنه، فأنكر مالك ذلك، وقال: أنا على الإسلام ما غيرت ولا بدلت، وشهد له بذلك أبو قتادة، و عبد الله بن عمر، فقدمه خالد وأمر ضرار بن الأزور الأسدي فضرب عنقه، وقبض خالد امرأته؟ فقال لأبي بكر: إنه قد زنى فأرجمه، فقال أبو بكر: ما كنت لأرجمه تأول فأخطأ، قال: فإنه قد قتل مسلما فأقتله: قال: ما كنت أقتله تأول فأخطأ، قال: فأعزله، قال: ما كنت لا شيم سيفا سله الله عليهم ابدا. راجع: ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج٦، ص١٤، الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٠٣، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧، ص٢٠٦، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٥٦١، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٣١.

أهل الديانات السماوية الأخرى، فمن القضايا الأساسية التي تعامل معها بمرحليه وتدرج هي قضية العلاقة مع المشركين، فقد تمثلت في مرحلتها الأولى بالحوار الفكري، والإقناع العقلي، والإبقاء على العلاقات الاجتماعية، والتعامل معهم كأمر واقع قائم في ذلك المجتمع، بل كانوا هم البنية الأساسية للمجتمع، والقوه السلطوية فيه.

وذلك يظهر من خلال النقاط الآتية التي لا تزيد على أن تكون أمثلة لعدم تعارض (الولاء والبراء) مع سماحة الإسلام:

أوّلًا: لا يُجبر أحدٌ من الكفّار الأصليِّين على الدخول في الإسلام.

ثانيًا: يحقّ لأهل الذمّة التنقّل في أي البلاد حيث شاءوا، بلا استثناء، إلا الحرم. ولهم سكنى أي بلد شاءوا من بلاد الإسلام أو غيرها، وهذا كُلّه محلّ إجماع [١] إلا المرور بالحرم ففيه خلافٌ، الراجح فيه عدم الجواز [٢].

ثالثًا: حفظ العهد الذي بين الاسلام وبين الكفار، إذا وفوا هُمْ بعهدهم وذمّتهم. قال الله تعالى:﴿ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[٣].

وعن أبي رافع ﷺ (وكان قبطيّا)، قال:« بعثتني قريش إلى رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) فلما رأيت رسول الله (صل الله عليه واله وسلم)، أُلقيَ في قلبي الإسلام، فقلت: يا رسول الله، إني والله لا أرجع إليهم أبداً، فقال رسول الله (صل الله عليه واله وسلم): «إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البُرُد. ولكن ارجع، فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن، فارجع. قال: فذهبتُ، ثم أتيتُ النبيَّ فأسلمتُ »[٤] [٥].

رابعاً: حرمة دماء أهل الذمّة والمعاهدين، إذا وَفَّوْا بذمتهم وعهدهم.

قال (صل الله عليه واله وسلم): «من قَتَل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً»[٦] [٧]، وقال (صل الله عليه واله وسلم): «أيُّما رجلٍ أمِنَ رجلاً على دمه ثم قتله، فأنا من القاتل بريء، وإن كان المقتولُ كافرًا»[٨] [٩].

خامساً: الوصيّة بأهل الذمّة، وصيانة أعراضهم وأموالهم، وحفظ كرامتهم.

---

(١) انظر: ابن حزم، مراتب الإجماع ، ص١٢٢؛ ابن القيم، أحكام أهل الذمة ، ج١ ، ص١٧٥- ١٩١.
(٢) انظر: ابن القيم، أحكام أهل الذمة ،١ج ، ص١٨٨ - ١٩١.
(٣) التوبة:٤.
(٤) أبو داود، الجهاد ، ص٢٧٥٨، أحمد، مسند أحمد، ج٦، ص٨.
(٥) أخرجه الإمام أحمد (رقم ٢٣٨٥٧)، وأبو داود (رقم ٢٧٥٢)، والنسائي في الكبرى (رقم ٨٦٢١)، وابن حبان في صحيحه (رقم ٤٨٧٧). وإسناده صحيح.
(٦) البخاري، صحيح البخاري، باب الجزية (ح٢٩٩٥)، النسائي ، سنن النسائي، باب القسامة (ح٤٧٥٠)، ابن ماجه، سنن ابن ماجة، باب الديات (ح٢٦٨٦)، أحمد، مسند أحمد، ج٢، ص١٨٦.
(٧) أخرجه البخاري (رقم ٣١٦٦).
(٨) ابن ماجه الديات (٢٦٨٨)، أحمد (٢٢٤/٥).
(٩) أخرجه الإمام أحمد (رقم ٢١٩٤٦، ٢١٩٤٧، ٢١٩٤٨)، والبخاري في التاريخ الكبير (٣ ٣٢٢ - ٣٢٣)، والنسائي في الكبرى (رقم ٨٧٣٩- ٨٧٤٠)، وابن ماجة (رقم ٢٦٨٨)، وابن حبان في صحيحه (رقم ٥٩٨٢)، والحاكم وصححه (٤ ٣٥٣)، من حديث عَمرو بن الحمق رضي الله عنه. والحديث صحيح.

قال (صل الله عليه واله وسلم) :«إنكم ستفحتون أرضاً يُذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإنّ لهم ذِمّةً ورحماً» [١] [٢].

سادساً: إنَّ اختلاف الدين لا يُلْغي حقَّ ذوي القربى.

وعن أسماء بنت أبي بكر، قالت: «قَدِمتْ عليَّ أُمّي، وهي مُشركة، في عهد قريش إذْ عاهدهم. فاسْتفتيتُ رسولَ الله (صل الله عليه واله وسلم) فقلتُ: يا رسول الله، قدمت عليّ أُمّي وهي راغبة، أفأَصِلُ أُمي ؟ قال: صلي أُمَّك» [٣] [٣] [٤].

سابعاً: إنَّ البرّ والإحسان والعدلَ حقٌّ لكل مْنْ لم يقاتل المسلمين أو يُظاهر على قتالهم، بل حتى المقاتل يجوز برُّهُ والإحسان إليه إذا لم يقوِّه ذلك على قتال المسلمين وأذاهم. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٥].

وأمّا العَدل فهو فرضٌ واجب لكل أحد، حتى من نُبغضه بحقّ، ممن عادانا وقاتلنا من الكفار، يقول الله تعالى في ذلك: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٦]؛ ولذلك لا يجوز لنا أن نخون من خاننا؛ لأنَّ الخيانة والغدر ليسا من من العدل؛ ولذا يؤكد الإسلام على فرض العدل مع غير المسلمين، بأقوى تأكيد، والعَدْلُ رأس كُلّ فضيلة. فالإسلام منذ الوهلة الاولى حمل لواء السلام تجاه كل الديانات الاخرى، ورفض أي تجاوز وتهميش لكل الديانات التي تعيش في الدولة الإسلامية، أو الدول المجاورة، بل لهم كامل الحقوق، وكانت رعاية رسول الله(صل الله عليه واله وسلم) لغير المسلمين في هذا المجال، مناراً لجميع المسلمين للاقتداء بسيرته المعطائة، وخير شاهد على ذلك، قصّة زيد بن سعنة . أحد أحبار اليهود، بعد أن أقرض النبيّ(صل الله عليه واله وسلم) قرضاً كان النبيّ في حاجة إليه، ثمّ رأى زيد أن يذهب قبل ميعاد الوفاء المحدّد ليطالب بدَينه، قال زيد : أتيت الرسول(صل الله عليه واله وسلم) فأخذت بمجامع قميصه وردائه، ونظرت إليه بوجه غليظ، وقلت له : يا محمّد، ألا تقضي دَيني، فو الله ما علمتكم . يا بني عبد المطّلب . إلاّ مماطلين، فنظر إليّ عمر وعيناه تدوران في وجهه ثمّ رماني ببصره، فقال : يا عدوّ الله، أتقول لرسول الله ما أسمع وتصنع به ما أرى، فو الذي نفسي بيده لولا ما أُحاذر لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ينظر في هدوء .

فقال : «يا عمر، أنا وهو كنّا أحوج إلى غير هذا : أنْ تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن الاقتضاء . اذهب . يا

---

(١) مسلم، فضائل الصحابة (٢٥٤٣).
(٢) أخرجه مسلم (رقم ٢٥٤٣).
(٣) البخاري، صحيح البخاري، باب الهبة وفضلها والتحريض عليها (رقم ٢٤٧٧)، مسلم، صحيح مسلم، باب الزكاة (رقم ١٠٠٣)، أبو داود، سنن أبي داود، الزكاة (ح١٦٦٨)، أحمد، مسند أحمد، ج٦، ص٣٥٥.
(٤) أخرجه البخاري صحيح البخاري (رقم ٢٦٢٠، ٣١٨٣، ٥٩٧٨، ٥٩٧٩)، ومسلم ، صحيح مسلم، (رقم ١٠٠٣).
(٥) الممتحنة: ٨-٩.
(٦) المائدة:٨.

عمر . فأعطه حقّه وزِده عشرين صاعاً من تمر ؛ مكان ما روّعته. قال زيد فذهب عمر فأعطاني حقّي وزادني عشرين صاعاً من تمر، فقلت : ما هذه الزيادة يا عمر؟ قال : أمرني رسول الله أن أزيدك مكان ما روّعتُك »[١].

ومن طرق الامامية روايات صحيحة الاسناد تنقل عن الامام علي(عليه السلام) في تعامله مع أهل الكتاب القاطنين في ظلّ الدولة الإسلامية، حتّى إنّه(عليه السلام) كان يتأوّه أسفاً لِاعتداء البُغاة على نساء المسلمين وأهل الكتاب على حدّ سواء، وذلك حينما أخذ يوجّه الناس لردع البُغاة، جماعة معاوية بن أبي سفيان، لمّا بعثهم للفتْك بالمسلمين وغيرهم من أهل الذمّة، لا لذنبٍ اقترفوه سوى طاعتهم لأمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)، فكان الامام (عليه السلام)يقول في هذه الحادثة ... : «وقد بلَغني أنّ الرجُل منهم (أي من جُند معاوية) كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فينتزع حِجْلها وقُلْبها وقلائدها ... فلو أنّ إمرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً»[٢]، ولم تنحصر العلاقة مع أهل الكتاب على الجانب الإنساني، بل اتسعت لتشمل التداخل المجتمعي، فقد أحلّ الاسلام طعام أهل الكتاب في غير اللحوم ؛ لأنّها مشروطة بالتذكية الشرعية، كما أحلّ النكاح منهم، حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ الْيَوْمَ أُحِلّ لَكُمُ الطّيّبَاتُ وَطَعَامُ الّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ حِلّ لّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلّ لّهُمْ﴾.

هذه هي أهم المبادئ والآداب التي فرضتها الشريعة الإسلامية للتعامل مع الاقليات الدينية، والتي أوجبت على الفرد المسلم أن يبرّهم ويظهر لهم الود بشرط أن لا يكون ذلك على الخطوط العريضة لمبادئ الاسلام، وأن لا يكون ذلك الود تعظيماً لمعتقداتم.

وعلى ضوء هذه المبادئ التي عرضها الإسلام، بدأت مرحلة جديدة أعطت من خلالها انطباعاً جيداً لسلوك وأخلاق المشركين فراحوا يجهدون أنفسهم على التغلب على الواقع الذي آلفوه من آبائهم وأجدادهم حتى آمن البعض منهم دون عناد وتكبر، وأما بعد الهجرة في السنة الثالثة من البعثة، وكان ميلاد المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية في المدينة المنورة إيذاناً بمرحله جديدة، فتحول الموقف من المشركين من الحوار المجرد إلى الصراع المسلح المشفوع بالحوار وفتح الأفاق أمام الوعي والعقل وفتحت جبهة القتال بالبيان القرآني الحاسم: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[٣].

فكانت معارك وغزوات ومواجهات عسكريه عنيفة وتواصل مسار الدعوة والدولة وتبليغ الرسالة، لتمتد آفاقه، وتتسع دائرته فاضطرت قريش، قاعدة الشرك وقائدة المواجهة، إلى أن تبرم صلح الحديبية مع الرسول الكريم(صل الله عليه واله وسلم) في السنة السادسة من الهجرة، ثم حدثت النقلة الكبرى ففتحت مكة عاصمة الشرك وحصن المعاندة في السنة الثامنة من الهجرة، فانهار ذلك الكيان المعادي لكلمه التوحيد ورسالة الهدى، وكانت مهمة الرسول(صل الله عليه واله وسلم) التالية هي تطهير الجزيرة من الشرك، وإعلان البراءة من المشركين، والإجهاز

---

(١) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص٦٠٥.
(٢) الكافي، الكليني، ج٥،ص٥.
(٣) الحج:٣٩.

على هذا الوجود الهدام.

فكانت البراءة من المشركين في السنه التاسعة من الهجرة، أعلنها القرآن بقوله: ﴿ بَرَاءةٌ مِّنَ اللَّـهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ! فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّـهِ وَأَنَّ اللَّـهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾[1].

وهذا البيان مع ما يحمل من حدّية وحسم فقد أعطى للمشركين فرصه التفكير والتأمل، إذ منحهم مدة أمدها أربعه أشهر، ومن؟ كان لهم عهد خاص محدود الآجل يودى لهم عهدهم إلى اجله، ولذا انطلقت السورة مجردة من الرحمة فلم تفتتح بباسم اللّه الرحمن الرحيم، كما هو الحال في السّور القرآنية كلها، بعد أن استنفدت كل الوسائل الفكرية والنفسية اللازمة للإقناع، وبعد أن اتضح الحقَّ وقامت البينة، ومع كل ذلك فقد مُنحوا فرصه أخرى أمدها أربعه أشهر من يوم تبليغ البيان، وأعطى الرسول(صل الله عليه واله وسلم) صلاحية أجارة من يستجير به حتى يسمع كلام اللّه، ويعيد الحساب مع نفسه، ويتأمل فيما يخاطب به من دعوه ومبادئ تسعى لإنقاذه في الدنيا والآخرة.

ولقد لخص القرآن كل ذلك بقوله: ﴿ بَرَاءةٌ مِّنَ اللَّـهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّـهِ وَأَنَّ اللَّـهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ * وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّـهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّـهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّـهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّـهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ براءة:١-٦.

المطلب الثالث: دوافع العنف والتطرف في المتجمع العراقي

من الصعب بمكان تحديد الخطوط العريضة لدوافع التطرف والعنف الذي اجتاحت مساحات واساحة من جغرافية المدن العراقية، وكما هو معروف للقاصي والداني، مدى أهمية العلاقة الروحية بين أبناء الشعب العراقي، فهناك روابط ووشائج اجتماعية مقدسة يتمسك بها أبنا الشعب، لكن وبعد احداث ٢٠٠٣- ٢٠١٠، وعلى اثر الحرب التي اعلنها داعش على مناطق واسعة من العراق، ظهرت حالات غريبة لم تكن مألوفة في القاموس الثقافي التداولي بين اطياف الشعب العراقي، حتى ظهرت مسميات وعناوين جديدة، قسمت أبناء الشعب العراقي إلى سنى وشيعي، وصابئي ومسيحي ويزيدي، هذه المصطلحات تكشف لنا عن عدّة أحكام ومعاني ومواصفات عقدية ونفسية واجتماعية قد تأصلت في ذلك المجتمع وأكسبته لياقة وجرأة آحادية اقصائية ذات منحىً جاهلي.

هذا الانطلاء الفكري والازدراء بالرأي الاخر ظهرت عقائد انبثقت عنها قرارات إرهابية وحشية صارمة، تمارس

(١) البراءة:١٠.

العنف، وإزهاق النفوس، وقطع الرؤوس، واختطاف الأبرياء، واستهداف المدنيين، كلّ ذلك باسم الدين، وتحت شعار الإسلام، وبعنوان الدفاع عن مقدّسات الأمة.

الخاتمة

من خلال هذا التجوال في اروقة التاريخ ورفوف المكاتب العصرية، انتهينا إلى دراسة الفكر السلفي الوهابي من خلال مصطلح (الأنثروبولوجيا) وتطبيقاته على المباني الفكرية والعقدية لهذه التجمعات التكفيرية، وأنها مبانٍ قد بنيت على أفكار وعقد قد تأصلت في بقعت جغرافية معيّنة قد البستها ثوب المسوح والرهبنة المتأصلة بالجذور السلفية، التي انعكست سلباً على تصرفاتها تجاه المسلمين، فكفرة بعنوان التوحيد كل من لا يمت بصلة إلى عقيدتها وأفكارها، كما أنها وقفت بحزم تجاه كل ما هو جديد وعصري، متهمة بذلك جميع ما جاءت به الحضارة والتمدن تحت عنوان(البدعة).

النتائج

توخينا من نتائج البحث عدة نقاط نفهرسها كالاتي:

١- إن التيارات التكفيرية، تنتهي في مبانيها وافكارها إلى الفكر الوهابي السلفي، الذي يكفر جميع المسلمين، بحسب مبانيه وأفكارها العقدية.

٢- إن هذه التيارات تؤمن إيماناً عميقاً بالانتماء السلفي كونهم يمثلون السلف الصلح تحت عنوان الخيرية الذي جاء بحديث: « خير الناس قرني ثمّ الذين يلونهم»هو حديث ضعيف الاسناد .

٣- إن الفكر السلفي فكر سياسي مؤدلج بأفكار وعقد مذهبية، غايته الحد من انتشار الفكر الشيعي.

٤- من مناقضات التيار السلفي التكفيري الايمان بعقيدة حرمة الخروج على الحاكم الظالم، وهي فكرة مناقضة تماماً للقرآن والسنة والاجماع والعقل.

٥- نسعى جاهدين إلى بث ايدلوجية تتناسب وطبيعة الفكر المعاصر لحركة التطور والانفتاح العالمي، وتربية الشباب على هذا الانفتاح؛ لأن هذه المرحلة من العمر هي الأكثر خطراً في التشدد والتطرف.

٦ . تصدي العلماء والمثقفين للمد التكفيري، والوقوف بحزم تجاه الافكار المنحرفة التي تدعوا إلى نشر روح العداء المذهبي والعرقي ..

٧ . توضيح النصوص الدينية التي يستخدمها أصحاب الفكر المتطرف في تسويقها إلى الشباب، وتوضيح مبانيها الصحيحة بخصوص الجهاد، وأحكام التعامل مع الآخرين على اختلاف أفكارهم ومذاهبهم، وغير ذلك من المفاهيم الإنسانية التي دعا إليها الإسلام ومحورها التوازن والوسطية. وهذا ما تميّز به دين الإسلام الحنيف.

٨ . العمل على التربية النفسية والروحية والاجتماعية وتوفير فرص العمل للشباب، والانفتاح على الآخرين من

خلال الحوار والسفر إلى دول أخرى لنشر أهداف الإسلام القائمة على بث روح التسامح والمحبة بين الأديان، وتعزيز البرامج الإعلامية الهادفة.

المصادر المراجع

- القرآن الكريم، كتاب الله العظيم.

١- ابن الاثير، أُسد الغابة لابن الأثير، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.

٢- ابن الاثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ.

٣- ابن حجر العسقلاني، محمد بن علي، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، باب فضائل أصحاب النبي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ.

٤- ابن خلكان، محمد بن أحمد، وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

٥- ابن سيده، المخصص، السفر الثالث عشر، النشر: بولاق : المطبعة الكبرى الاميرية، الطبعة الأولى.

٦- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٧- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٨- الأشقر، د. عمر، أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنّة والجماعة، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٨م.

٩- الاندلسي، ابن حزم علي بن أحمد، مراتب الإجماع لابن حزم، دار الاوقاف السعودية، الطبعة الأولى.

١٠- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، طبعة دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى.

١١- التهانوي، محمد بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون، دار صادر–بيروت، الطبعة الأولى.

١٢- جبران، مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م.

١. جرجيس، د. جرجيس، معجم المصطلحات الفقهية والقانونية، الشركة العالمية للكتاب، ط١، ١٩٩٦م.

١٣- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى.

١٤- الحر العاملي، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت(ع) لإحياء التراث، قم المقدسة، الطبعة الأولى.

١٥- حمدان، د. سعيد بن سعيد ناصر، وعبدالله، د. سيد جاب الله، دور المؤسسات الاجتماعية في تحقيق الامن الفكري، بحث مقدم الى المؤتمر الوطني للأمن الفكري.

١٦- الرميحي، د. محمد، الطريق إلى المستقبل: هل يمكن اكتشاف القوى الكامنة في التخلف العربي؟، مجلة (العربي)، العدد ٤٥٩، رمضان ١٤١٧هـ، فبراير (شباط) ١٩٩٧م.

١٧- السقاف، حسن بن علي، السلفية الوهابية، أفكارها الاساسية، جذورها التاريخية، دار الميزان، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

١٨- الصعيدي، عبد المتعال، المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر مكتبة الحماميزي.

١٩- الصفار، حسن موسى، الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
٢٠- الطبرسي، أعلام الورى،
٢١- الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى.
٢٢- الطوسي، محمد بن الحسن، الاقتصاد فيما يجب على العباد، مركز نور الانوار في إحياء بحار الانوار، الطبعة الأولى.
٢٣- العاملي، مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، دار الهادي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٢٤- عبد المنعم، محمد عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة.
٢٥- عبده، محمد، نهج البلاغة، مطبعة الاستقامة، بيروت، الطبعة الأولى.
٢٦- علي، د. جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ.
٢٧- عواد، سامي علي، الارهاب المعاصر، المكتب العربي الحديث، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
٢٨- المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة. مصادر الحديث السنية . القسم العام تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى
٢٩- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى.
٣٠- نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط٢، القاهرة ١٩٧٢م.